معنى ﴿فِي﴾ ودلالة التَّعبير بها:

يدلُّ التَّعبيرُ بحرفِ الظَّرْفيَّة في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾، على أنَّ الإنجيلَ ظرفٌ لهذا المَثَلِ، وأنَّهُ مرقومٌ فيها، وهذا يعني شدَّة ظهورِ التَّبشيرِ بنبيِّنا ﷺ، وذِكْرِ أوصافِ أصحابِه في الإنجيلِ، ممّا يُلزِمُ مَن حضَر في زمانِ الرَّسولِ ﷺ أنْ يكونَ أوَّلَ المؤمنينَ به.

الإنجيلُ محلُّ التَّبشير بالرَّسول والثَّناءِ على الصَّحابةِ

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلْإِنجِيلِ﴾:

تعريفُ ﴿ٱلْإِنجِيلِ﴾ في قوله جلَّ من قائلٍ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ للعهدِ الذِّهنيِّ؛ إذ المرادُ بهِ الكتابُ المخصوصُ الَّذي أُنزِلَ على عيسى عليه السلام.

نكتةُ تَقْديم ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾:

لم يُؤخِّر القرآنُ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ بعدَ شرحِ المَثَلِ، كما أخَّرَ نظيرَه: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ اتِّساقًا في نَظْمِ الآيةِ؛ لأنَّ إظهار دين الهدى والحقِّ على الدّين كلِّه يكونُ؛ إذا كانت أُمَّةُ رسول اللّه محمَّدٍ ﷺ الَّذين معَه متَّصفةً بالصِّفات الواردةِ في التَّوراة والإنجيل في وقتٍ واحدٍ.

صفاتُهم في التَّوراةِ لا تنفصِلُ في الواقعِ عن صفاتِهم في الإنجيل

سرُّ تنكيرِ (زرعٍ):

تنكيرُ الزَّرعِ في قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ للإفرادِ، أي: كفردٍ مِن أفرادِ الزَّرعِ، أو للتَّعظيم، أي: كزرعٍ عظيمٍ.

براعةُ التَّشبيهِ في ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾:

في قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ تشبيهٌ تمثيليٌّ بديعٌ لحالِ بدءِ المسلمينَ ونمائِهم حتى كَثُروا، بزرعٍ أخرجَ زرعه ... إلخ، وذلكَ يتضمَّنُ تشبيهَ بدءِ الإسلامِ ضعيفًا، وتَقوّيهِ يومًا فيومًا حتَّى استحكمَ أمرُهُ، وتغلَّبَ على أعدائه[1]، وهذا التَّمثيلُ قابلٌ لاعتبارِ

نماءُ قوَّةِ الإسلامِ شيئًا فشيئًا إلى أنِ انتصرَت على الأعداءِ

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 345، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 209.

تجزئةِ التَّشبيهِ في أجزائه، وهذا أفضلُ صور هذا التَّشبيهِ، بأن يُشبَّهَ نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ بالزّارعِ، ويُشبَّهَ المؤمنونَ الأوَّلونَ بحبّاتِ الزَّرعِ الَّتي يبذرُها في الأرضِ، والشَّطءُ: مَن أيَّدوا المسلمينَ، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ دعا إلى اللّه وحدَهُ، وانضمَّ إليهِ نَفَرٌ قليلٌ، ثمَّ قوّاهُ اللّه بمَن معَهُ، كما يُقوّي الطّاقةَ الأولى مِنَ الزَّرعِ ما يحتفُّ بها، ممّا يتولَّدُ منها، حتَّى يُعجِبَ الزُّرّاعَ، وقولُهُ: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: تحسينٌ للمشبَّهِ بهِ؛ ليفيدَ تحسينَ المشبَّهِ[1].

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾:

في قوله ﷻ: ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ استعارةُ الإخراجِ إلى تفرُّعِ الفراخ مِنَ الحبَّةِ، لمشابهةِ التَّفرُّعِ بالخروجِ، ومشابهةِ الأصلِ المتفرَّعِ عنهُ بالَّذي يُخرِجُ شيئًا مِن مكانٍ[2]، وهو مِن استعارةِ محسوسٍ لمحسوسٍ، وفيه إشارةٌ إلى قوَّةِ المطَّلعِ؛ إنباءً بقوَّةِ المقطعِ.

تـفـرُّع الـفـروعِ مِنَ الحبَّةِ شبيهٌ بإخراجِ شيءٍ مِن مكانه

دلالةُ المُضيِّ في ﴿أَخۡرَجَ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ إخراجَ الزَّرعِ شَطْأَهُ أمرٌ ثابتٌ متحقِّقٌ - لا محالة - وفي هذا وعدٌ بالثَّباتِ والقوَّةِ في شأنِ المشبَّهِ.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿شَطۡـَٔهُۥ﴾:

الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ بمعنى اللّامِ، أي: أخرجَ شطْئًا لهُ، فتفيدُ زيادةَ تحقيقِ إخراجِ الزَّرعِ لشَطْئه.

معنى الفاء في ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ ودلالةُ التَّعبير بها:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ للسَّببيَّةِ، فتفيدُ تسبُّبَ المؤازرةِ عن إخراجِ الزَّرعِ شَطْأَهُ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 209.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 208.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 100.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمؤازرةِ مادَّةً وصيغةً:

قـوَّةُ معـاونـةِ الشَّطْءِ للزَّرعِ، ومساواتُه له

عُبِّرَ بالمؤازرةِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾؛ لأنَّها في الأصلِ المعاونةُ والتَّقويةُ، فتفيدُ أنَّ الشَّطْءَ قد قوَّى الزَّرعَ[1]، وفي ذلكَ مبالغةٌ في بيانِ نُموِّ الزَّرعِ شيئًا فشيئًا، وأنّه يشتدُّ، ويعضد بعضُه بعضًا.

وعُبِّرَ بصيغةِ الماضي؛ للتَّنبيهِ على أنَّ المؤازرةَ أمرٌ ثابتٌ متحقِّقٌ لا محالة، وهذه بشرى لطيفةٌ بتمام أمرِ المُشَبَّه وكماله.

معنى الفاءِ في ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ ودلالة التَّعبير بها:

الفاءُ في قولِ الباري جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ للسَّببيَّةِ، فتفيدُ تسبُّبَ الاستغلاظِ عن المؤازرةِ[2]، يعني: أنَّهُ قد نتجَ عن مؤازرةِ الشَّطْءِ للزَّرعِ استغلاظُهُ، فصار غليظًا بعدما كان دقيقًا.

دلالةُ المُضيِّ في ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾:

تـحـقُّـقُ الاسـتـغـلاظِ ووقوعُهُ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ الاستغلاظَ أمرٌ ثابتٌ متحقِّقٌ - لا محالة - وهذا يعني ديمومة البشرى اللَّطيفة، الَّتي أفادتها صيغةُ المُضيِّ في ﴿أَخْرَجَ﴾ و﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾.

دلالةُ صيغةِ الاستفعالِ في ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾:

انتقالُ الزَّرعِ مِنَ الدِّقَّةِ إلى الغِلَظِ

تدلُّ صيغةُ الاستفعالِ في قوله تعالى شأنُهُ: ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ على الصَّيرورةِ، أي: فصارَ مِنَ الدِّقَّةِ إلى الغِلَظِ[3]، فهو كقولِهم: استحجرَ الطّينُ، وهو يُنبِئُ عن التَّدريجِ، وتحتملُ أن تكون للمبالغةِ في الغِلَظِ، كقولِكَ: استعظمَ[4].

معنى الفاءِ في ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ ودلالة التَّعبير بها:

الفاءُ في قوله ﷻ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ للسَّببيَّةِ، فتفيدُ تسبُّبَ الاستواءِ على السّوقِ عن الاستغلاظِ[5].

---

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 348 والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 295.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 344، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 100.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 132.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 69، والقاسمي، محاسن التأويل: 8/ 511.
(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 100.

دلالةُ المُضيِّ في ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾:

الاستـواءُ على السّوقِ متحقِّقٌ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ الاستواءَ على السّوقِ أمرٌ متحقِّقٌ متيقَّنٌ، مع ما تحمل في طيّاتها من البشرى المذكورة في نظير هذه الصّيغة ممّا سبَق.

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودلالة التَّعبير بها:

يدلُّ التَّعبيرُ بحرفِ الاستعلاءِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ على أنَّ الاستواءَ مُستعلٍ على السّوقِ، ومُتمكِّنٌ منها غايةَ التَّمكُّنِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالسّوقِ:

قوّةُ الزَّرعِ المشبَّهِ بهِ

السّوقُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ جمعُ ساقٍ، وهو ما قامَ عليه الشَّيءُ، وقد يُخَصُّ بالشَّجرِ، فيكونُ ساقُ الزَّرعِ استعارةً[1]، وأيًّا ما كانَ؛ ففي التَّعبيرِ بهِ إشارةٌ إلى قوَّةِ الزَّرعِ.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿سُوقِهِۦ﴾:

الإضافةُ في قوله ﷻ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بمعنى اللّامِ، أي: على سوقٍ لهُ، وذلكَ يقوّي مقامَ التَّنصيصِ على قوَّةِ الزَّرعِ وصلابته.

بلاغةُ موقعِ قولِه: ﴿يُعْجِبُ﴾:

التَّعجُّبُ مِن حالِ الزَّرعِ، وإظهارُ البهجةِ بهِ

قولُهُ تعالى ذكرُهُ: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ حالٌ مِنَ الزَّرعِ، أو استئنافٌ بيانيٌّ[2]، كأنَّ سائلًا سألَ عن موقفِ الزُّرّاعِ منه، وهم في غايةِ العناية بأمره، والتَّفقُّد لحاله، والملابسةِ له، والغرضُ من ذلكَ: التَّعجُّبُ منهُ، والمبالغةُ في مدحه، وإظهارُ السُّرورِ في أمره[3]، وزيادةُ تحسينه[4]، ولذلكَ فُصِلَ عمّا قبله، ولم يُعطَف عليهِ.

(1) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 154.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 100.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 344.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 210.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يُعۡجِبُ﴾:

تعجُّبُ الزُّرّاعِ مستمرٌّ متجدِّدٌ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قوله تعالى: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾؛ للدَّلالةِ على استمرارِ الإعجابِ وتجدُّده، وأنَّ حالَ الزُّرّاعِ مع الزَّرعِ هو التَّعجُّبُ المستمرُّ منهُ؛ لقوَّته وحُسْنِ منظره، ففي المضارعة إبلاغٌ في تقرير معنى قوَّة الزَّرع.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾:

حُسْنُ الزَّرعِ يستولي على كلِّ مَن يراهُ

تعريفُ الزُّرّاعِ في قوله تعالى: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ للجنسِ الشّاملِ لكلِّ مَنْ يشاهدُهُ مِنَ الزُّرّاعِ، أو للعهدِ الذِّهنيِّ، والمعنى: يُعجِبُ هذا الزَّرعُ زُرّاعَهُ لقوَّته وحُسْنِ منظره[1]، والأوَّلُ أبلغُ؛ لِما فيهِ مِنَ العمومِ الدّالِّ على أنَّ حُسْنَهُ يستولي على كُلِّ مَن يراهُ؛ لنُدرة وجود مثله في القوَّة والبهجة.

سرُّ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

تناغمُ ألفاظِ الآيةِ مع كمالِ إيصالِ المقصودِ

عُبِّرَ بالزُّرّاعِ دونَ الزّارعينَ في قوله جلَّ من قائلٍ: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾؛ لأنَّهُ أنسَبُ مِنَ النّاحيةِ الصَّوتيَّةِ بـ﴿أَشِدَّآءُ﴾، و﴿ٱلۡكُفَّارَ﴾، و﴿رُحَمَآءُ﴾؛ ولتهويل الإعجابِ وتفخيمِه، فإنَّ ﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾ على صيغةِ (الفُعّال)، وهيَ مِن صيغِ المبالغةِ.

وخُصِّصَ الزُّرّاعُ بالذِّكْرِ؛ لأنَّهُ إذا أعجبَ الزَّرعُ الزُّرّاعَ، وهم في غاية العناية بشأنه؛ فهو أحرَى أن يُعجِبَ غيرَهم؛ لأنَّهُ لا عيبَ فيهِ؛ إذ قد أعجبَ العارفينَ بالعيوبِ، ولو كانَ معيبًا لم يُعجِبْهم[2].

دلالةُ اللّامِ في ﴿لِيَغِيظَ﴾:

حالُ الصَّحابةِ في الدُّنيا والآخرةِ ممّا يُغيظ الكافرينَ

اللّامُ في قوله تعالى شأنُهُ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾؛ للتَّعليلِ، وهي تعليلٌ لِما دلَّ عليهِ تشبيهُهم بالزَّرعِ مِن نمائِهم وترقّيهم في الزّيادةِ والقوَّةِ، أو تعليلٌ لـ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لأنَّ الكفّارَ إذا سمعوا

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 67.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 142، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 503.

بما أُعِدَّ لهُم في الآخرةِ؛ غاظَهم ذلكَ[1]، أو تعليلٌ لكلامٍ محذوفٍ، تقديرُهُ: جعلَهم اللّه بهذهِ الصِّفةِ؛ ليغيظَ بهم الكفّارَ[2]، أو التَّقديرُ: فعلَ اللّه هذا لمحمَّدٍ ﷺ وأصحابه؛ ليغيظَ بهم الكفّارَ[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿لِيَغِيظَ﴾:

الكفّارُ في غيظٍ مستمرٍّ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ للدَّلالةِ على استمرارِ الإغاظةِ، وتجدُّدِها، وأنَّ غضبَ الكفّارِ لا ينتهي، بل تتزايد الإغاظةُ؛ كلَّما رأوا قوَّةَ المسلمينَ، وهذهِ المضارعةُ تُشاكِلُ المضارعةَ في ﴿يُعْجِبُ﴾، ومعَ الإعجاب الفرحُ والسُّرورُ، ومعَ الغيظِ عكسُ ذلكَ.

سرُّ التَّعبيرِ بالإغاظةِ:

حَنَقُ المشركينَ على الحقِّ وأهله

عُبِّرَ بالإغاظةِ دونَ الإغضابِ في قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، فلم يقل مثلًا: (ليُغضِبَ بهم الكفّارَ)؛ لأنَّ الغيظَ أشدُّ مِنَ الغضبِ، وهو المناسبُ لحالِ المشركينَ الَّذينَ يَقُضُّ مضاجعَهم قوَّةُ الإسلامِ، فلو عُبِّر بالإغضابِ؛ لضاع رونقُ البلاغةِ.

معنى الباءِ ودلالة التَّعبير بها:

الصَّحابةُ سببُ غيظِ الكفّار

الباءُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ للسَّببيَّةِ، أي: ليغيظَ بسببِهم الكفّارَ، والأصلُ في معناها الإلصاق، فهو لا يكاد يُفارقها، فتدلُّ على أنَّ الغيظَ ملتصقٌ بهم، لا ينفَكُّ عنهُم بحالٍ.

نكتةُ تَقديم ﴿بِهِمُ﴾:

الكفّارُ أحقّاءُ بالغيظِ العاجلِ

تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿بِهِمُ﴾ على المفعولِ ﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ في قوله تقدَّسَ ذكرُهُ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ للعنايةِ بالمقدَّمِ، ووجهُ ذلكَ: تعجيلُ المساءةِ للكفّارِ، ببيانِ أنَّ سببَ غيظِهم هو الصَّحابةُ رضوانُ اللّه عليهِم.

---

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 348.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 143.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 295.

دلالةُ تَعريفِ ﴿ٱلۡكُفَّارَۗ﴾:

الإسلامُ غيظُ الكافرينَ إلى قيامِ السّاعةِ

الظّاهرُ أنَّ المرادَ بالكفّارِ في قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ مَن كانَ في زمنه ﷺ مِنَ الكفرةِ المُحاربينَ للإسلامِ، ويقاسُ عليهم كلُّ مَن كانَ على شاكلتهم، فالإسلامُ يغيظُ الكافرينَ في كلِّ مكانٍ وزمانٍ إلى قيامِ السّاعةِ، فـ(أل) إمّا للعهد الذِّهني، أو للجِنْسِ، والمآلُ واحدٌ.

سرُّ إيثارِ ﴿ٱلۡكُفَّارَۗ﴾:

أئمّةُ الكفرِ أكثرُ غيظًا على الإسلام وأهلِه

أوثِرَ لفظُ ﴿ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ على لفظِ (الكافرينَ)، في قولِ الباري ﷻ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾؛ لتناغُمه معَ لفظِ: ﴿ٱلۡكُفَّارِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾، ومع ﴿أَشِدَّآءُ﴾، و﴿رُحَمَآءُ﴾، ولأنَّ أكثرَ أهلِ الكُفْرِ غيظًا مِن الإسلام، وحَنَقًا عليه هم الرّاسخونَ في الكُفْرِ، العريقونَ فيه، وصيغةُ: (الكُفّار) مِن صيغِ المبالغة، وما ثبَت للأعلى هنا يثبُت للأدنى، لكنْ ليس بنفس الصِّفة.

علّةُ فصلِ جملة ﴿وَعَدَ﴾:

وعدُ الصّحابةِ بالجزاءِ بعدَ الثّناءِ عليهم

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّهُ استئنافٌ ابتدائيٌّ؛ لإفادةِ غرضٍ جديدٍ، وهو وعْدُهُم بالجزاءِ، على ما اتَّصفوا بهِ مِنَ الصِّفاتِ الَّتي لها الأثرُ المَتينُ في نشرِ هذا الدّينِ ونصرِه[1].

دلالة المُضيِّ في ﴿وَعَدَ﴾:

وعدُ اللهِ لا يتخلَّفُ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ هذا الوعدَ أمرٌ متيقَّنٌ، لا شكَّ فيهِ، ولا ارتيابَ، ومِن شأنِ الوَعْدِ والوعيدِ الإبلاغُ في تقريرهما.

بلاغةُ التَّعبيرِ باسم الجلالةِ:

وعدُ العظيمِ نافذٌ لا محالةَ

اختيرَ اسمُ الجلالةِ دونَ غيره في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لدلالته على صفاتِ العظمةِ والجلالِ، الَّتي بها يُنجِزُ هذا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 345، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 210.

الوعدَ العظيمَ، والمعنى: وعدَ الملكُ الأعظمُ الَّذينَ آمنوا إلخ[1]، ففيه تفخيمٌ وتعظيمٌ للوعد مِن جهةٍ، وتحقيقٌ وتمكينٌ له مِن جهةٍ أخرى.

نكتةُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

عُبِّرَ بالموصولِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ للإيماءِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ إلى علَّةِ هذا الوعدِ الكريمِ، وهو الإيمانُ وعملُ الصّالحاتِ، وهذا يعني كمالَ شرفِ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ، وكمالَ أثَرِ عملِ الصّالحاتِ في ترقّي هذا الإيمانِ.

الإيمانُ والعملُ الصّالحُ سببُ نيلِ المكرماتِ

نكتةُ التَّعبيرِ بالمُضيِّ في ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ إيمانَهم وعملَهم للصّالحاتِ أمرانِ متحقِّقانِ، وأنَّهم استحقّوا الوعدَ الكريمَ بَعدَ بذلِ المطلوبِ منهم.

مَن طلبَ المَكْرُماتِ؛ بذلَ مَهْرَها

بلاغةُ عطفِ ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

عَطْفُ عملِ الصّالحاتِ على الإيمانِ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ للإشارةِ إلى تصديقِ دعواهم[2]، وبيانِ أنَّ الإيمانَ الكاملَ والإذعانَ الصّادقَ يلزمُهما العملُ الصّالحُ، واقترانُ الإيمانِ بالعملِ الصّالحِ يناسبُ مقامَ الوعدِ الكريمِ، وقد جرَت عادةُ القرآنِ الكريمِ بقَرْنِ الإيمانِ بالعملِ الصّالحِ في كثيرٍ مِنَ المواضعِ.

المؤمنُ الحقُّ يقرنُ العملَ بالتَّصديقِ

سرُّ التَّعبيرِ بالعملِ:

اختيرَ العملُ دونَ الفعلِ في قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ لأنَّ العملَ يكونُ بقصدٍ، فهو أخصُّ مِنَ الفعلِ؛ لأنَّ الفعلَ قد يُنسَبُ إلى الحيواناتِ الَّتي يقعُ منها فعلٌ بغيرِ قصدٍ، وقد يُنسَبُ إلى الجماداتِ، والعملُ قلَّما يُنسَبُ إلى ذلكَ، وبناءً على ذلكَ يكون عملُ المؤمنينَ للصّالحاتِ مقرونًا بالقصدِ والنِّيَّةِ.

عملُ الصّالحاتِ مقرونٌ بالقَصْدِ والنِّيَّةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 345.

(2) الشربيني، السراج المنير: 4/ 59.

دلالة جمعِ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

طرقَ الصَّحابةُ جميعَ أبواب الخير

نظَم القرآنُ معمولَ العمل مجموعًا في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ للدَّلالة على تنوُّعِ الصّالحاتِ وكثرتِها، وأنَّ الصَّحابةَ الكرامَ ﷺ قد طرقوا مختلفَ أبوابِ الخيرِ، وهذهِ الدَّلالةُ تأسيسيَّةٌ؛ إذا كانَت (أل) للعهد الذِّهنيِّ، وعلى كونها للجنس؛ فإنَّ في الجمعيَّة إبلاغًا في تقرير دلالة الجنس؛ توكيدًا لمعنى عظيم اجتهادهم في طاعة الله تعالى، وأنَّ هذا الثَّناءَ البالغَ عليهم لم يكُن خواءً مِن الاجتهادِ العَليِّ.

بلاغةُ الإيجازِ في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

الاستغناءُ بالصِّفةِ عن الموصوفِ سُنَّةٌ عربيَّةٌ

حُذِفَ الموصوفُ في قوله ﷻ: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ - والتَّقديرُ: (الأعمالَ الصّالحاتِ) - إيجازًا، وإشارةً إلى أنَّهم يأتون ما الصَّلاحُ فيه جِدٌّ ظاهرٍ وكاملٍ، كأنَّ العملَ معروفٌ مشهورٌ به، ولأنَّ الصّالحاتِ جمعُ صالحةٍ، وهي الفَعْلةُ الحسنةُ، وهي في الأصلِ صفةٌ جرَت مَجْرَى الأسماءِ، لأنَّهم يقولونَ: (صالحة)، و(حسنة)، ولا يُقدِّرونَ موصوفًا محذوفًا.

معنى (مِنْ) ودلالة التَّعبير بها:

أصحابُ الرَّسولِ هم خيرةُ المؤمنينَ

يجوزُ أن تكونَ (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ للبيانِ؛ لأنَّهُ وعدٌ للجميع، وهذا استعمالٌ كثيرٌ[1]، ويجوزُ أن تكونَ للتَّبعيضِ؛ لأنَّهُ وعدٌ لكلِّ مَن يكونُ معَ النَّبيِّ ﷺ في الحاضرِ والمستقبلِ، سواءٌ كانوا مِن أصل الزَّرع، وهم الصَّحابة، أو فراخه الَّتي أخرجَها، وهم التّابعون لهُم بإحسانٍ، فيكون ذِكر (مِنْ) تحذيرًا للمخاطَبين، فقد كان الخللُ فيمَن بعدَ الصَّحابة كثيرًا، وهو لا يُنافي المغفرةَ للصَّحابة الكرام؛ لأنَّ جميعَهم آمنوا، وعملوا الصّالحاتِ، وأصحابُ الرَّسولِ ﷺ هم خيرةُ المؤمنينَ[2].

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 345، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 503.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 210، والبقاعي، نظم الدرر: 7/ 218.

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

عملُ الصّالحاتِ حـالُ الصَّحابةِ وسببُ تميُّزهم

أُخِّرَ قولُه: ﴿مِنْهُم﴾ عن قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في قوله تعالى هنا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾، وقُدِّمَ عليهِ في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: 55]؛ لأنَّ عملَ الصّالحاتِ لا ينفكُّ عنهُم في سورة الفتح، وهو ثمَّةَ لبيانِ الخلفاءِ، والعملُ الصّالحُ ليسَ بلازمٍ لهُم حتَّى لا ينعزلوا بالفسقِ[1].

ولمّا كان الكلامُ هنا في الَّذين معه ﷺ، وكانت المَعيَّةُ ظاهرةً في الاتِّحادِ في الدّينِ؛ لم تكُن شاملةً للمنافقين، فلم يكن الاهتمامُ بالتَّقييد بـ﴿مِنْهُم﴾ هنا، كالاهتمام به في سورة النّور، فأخَّرَه، وقدَّمَ العملَ هنا؛ لأنَّ العنايةَ به أكثرُ؛ لأنَّه مِن سيماهُم المذكورةِ[2].

غرضُ تنكيرِ ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا﴾:

تنكيرُ المغفرةِ والأجرِ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ للتَّعظيم، أي: مغفرةً وأجرًا، لا يُقادَرُ قَدْرُهما، وهذا هو الألصقُ بعِظَم الوعدِ الكائنِ مِن ملِك الملوك سبحانه.

نكتةُ عطفِ الأجرِ على المغفرةِ:

الجمعُ للمؤمنينَ بينَ المغفرةِ والثَّوابِ

عُطِفَ الأجرُ العظيمُ على المغفرةِ في قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ لإفادةِ أنَّ اللّه تعالى جمعَ لهُم بينَ غُفرانِ الذُّنوبِ، وبينَ الجنَّةِ الَّتي هي الأجرُ العظيمُ[3]، فقد غَفَرَ لهم أخطاءهم وتقصيرَهُم في عبادته تعالى، ثمَّ زادَ في إحسانهم بإعطائهم ذلك الأجر العظيم.

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 69.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 218.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 295.

بلاغةُ وصفِ الأجرِ بالعِظَمِ:

وُصِفَ الأجرُ بالعِظَمِ في قوله تعالى: ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ لأنَّه الألصقُ بمقامِ الثَّناءِ عليهم على الجملة، ولأنَّ المرادَ بهِ الجنَّةُ الَّتي هي أكبرُ نعمةٍ وأعظمُ مِنَّةٍ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الشِّدَّةُ والقوَّةُ:

صلابةُ تعاملِ الصَّحابةِ معَ الكفّارِ

الشِّدَّةُ في الأصلِ: مبالغةٌ في وصفِ الشَّيءِ في صلابةٍ، وليسَ هو مِن قبيلِ القدرةِ، والقوَّةُ مِن قبيلِ القدرةِ[2]، وقد عُبِّرَ بالشِّدَّةِ هنا لِما تدلُّ عليهِ مِنَ المبالغةِ في صلابةِ تعاملِ الصَّحابةِ معَ الكفّارِ.

الابتغاءُ والرَّجاءُ:

الصَّحابةُ يطلبونَ الفضلَ والرِّضوانَ مِن أبوابِهما

الابتغاءُ يدلُّ على الطَّلبِ العظيم[3]، والرَّجاءُ يدلُّ على الأملِ[4]، وقد عُبِّرَ بالابتغاءِ هنا؛ لأنَّهُ يشيرُ إلى أنَّ الصَّحابةَ يُقدِّمونَ أعمالًا تُؤهِّلُهم لفضلِ اللهِ ورضوانه، لا أنَّهم يأمُلونَ ذلكَ فقط.

الزَّرعُ والشَّجرُ والنَّباتُ:

تدرُّجُ أمرِ الصَّحابةِ مِنَ الضَّعفِ إلى القوَّةِ

الزَّرعُ: ما ينبتُ مِن غيرِ ساقٍ، والشَّجرُ: ما لهُ ساقٌ وأغصانٌ، والنَّباتُ يعمُّ الجميعَ؛ لأنَّهُ ما ينبتُ مِنَ الأرضِ، أي: يخرجُ منها[5]، وقد اختيرَ التَّعبيرُ بالزَّرعِ هنا؛ لأنَّهُ في تدرُّجه مِنَ الضَّعفِ إلى القوَّةِ أنسبُ بتمثيلِ حالِ الصَّحابةِ في انتقالِهم مِنَ القلَّةِ والضَّعفِ إلى الكثرةِ والقوَّةِ.

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 67.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 107.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجو).
(5) الجزائري، فروق اللغات، ص: 141.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"